رسول المكسيك

المكسيك مملكة واسعة في اميركا الشماليَّة كانت راقية ذرى المجد لما دخل الاسبانيون اميركا فتغلبوا عليها واذلوها واخربوها وامتزجوا بسكانها

ويؤثر عن اهالي المكسيك القدماء انهُ اتاهم رسول قبل ان دخل كولمبس اميركا بقرون كثيرة فعلَّمهم بعض العقائد الدينيَّة ثم غاب عنهم على امل ان يرجع اليهم قريبًا . ولما اتاهم كُرتس الاسباني سنة ١٥١٩ للميلاد اخبروهُ امورًا كثيرة عن هذا الرسول خلاصتها انهُ رجل ابيض اتاهم من الجهات الشماليَّة الشرقيَّة قاطعًا البحر الاتلنتيكي بقارب لهُ اجنحة (اي شراع) كالسفن الاسبانيَّة واقام بينهم سنين كثيرة وعلمهم ديانة جديدة ونظَّم لهم حكومة عادلة وعلَّمهم صنائع كثيرة نافعة وكان طويل القامة واسع الجبين كبير اللحية اسود الشعر لابسًا جبَّة طويلة وفوقها رداء معلم بالصلبان وكان عفيفًا متقشفًا كثير الصوم والتهجُّد يحب السلم ويكره الحرب فاحبهُ الجميع واكرموهُ لتقواهُ وفضائلهِ واستولى الامن على البلاد في ايامهِ وكثرت خيراتها ثم اضطرَّ لسبب من الاسباب ان يترك البلاد فنزل الى خليج المكسيك وطيَّب قلوب الاهالي الَّذين حضروا لوداعهِ ووعدهم ان يعود اليهم بنفسهِ بعد قليل او يرسل اليهم واحدًا من قبلهِ عوضًا عنهُ . وكان قد صنع لنفسهِ سفينة من جلود الافاعي فسافر بها الى بلادهِ الجزيرة المقدسة عبر الاوقيانوس العظيم . واسم هذا الرسول في لغتهم كوانزاتكوتل اي الحيَّة الخضراء ومعنى الاخضر عندهم الفاخر او النفيس

ولما دخل الاسبانيون بلاد المكسيك رحَّب بهم الاهالي حاسبين انهم اتوا من قبل هذا الرسول لانهم بيض الوجوه طوال اللحى مثلهُ وقد اتوا بسفن ذات شراع مثل السفينة الَّتي اتى بها . فلم يصرفهم الاسبانيون عن هذا الزعم ولذلك تمكنوا من اخضاع البلاد بسهولة

وقد اختلف الباحثون في حقيقة هذا الرجل . اما الاسبانيون الاولون الَّذين دخلوا المكسيك فحسبوا انهُ احد المبشرين المسيحيين ذهب اليها من اوربا وقالوا انهم رأوا في ديانة اهالي المكسيك شيئًا من المشابهة للديانة المسيحيَّة ولكنها لم تكن مقتصرة على ذلك بل كانت وثنيَّة تعتمد على الذبائح البشريَّة وقيل لهم ان هذا الرسول علَّم ديانتهُ للاهالي الاصليين وكانوا اهل علم وصناعة ثم هاجروا من البلاد في القرن الحادي عشر للميلاد واستولى عليها شعب الازتك وكانت ديانتهم فاسدة قائمة بالشعائر الدمويَّة ولم يستقم امرهم الاَّ في اواسط القرن الرابع عشر فاقتبسوا ما بقي في البلاد من عوائد الشعب السابق وديانتهم ومزجوا

ذلك بعوائدهم وديانتهم فصارت مجمع الاضداد من اللين والقسوة والفضيلة والرذيلة والعلم والجهل والتمدن والتوحش لامتزاجها من عنائد الشعب الاول وعنائد الشعب الثاني . وفي جملة عنائد الشعب الاول الاعتقاد بوجود اله واحد قدير خالق للكون ومتسلط عليه وهو مصدر كل خير وتحته آلهة صغيرة ويقابله شخص شرير وهو المسبب للشرور كلها . والاعتقاد بوجود دار للثواب يقيم فيها الصالحون بعد الموت ودار اخرى للعقاب يقيم فيها الاشرار ودار متوسطة بين بين . وبأن للناس أمًّا واحدة وبها اتت الخطيئة الى العالم ويصورون معها حيَّة حيثما صوروها . وبانه حدث في الارض طوفان عام لم ينجُ منه الا عائلة واحدة ونجا ايضًا قوم من الجبابرة الاشرار فبنوا هرمًا عظيمًا يصل رأسه الى السحاب ولكن الآلهة امطرت عليهم نارًا فصرفتهم عن العمل

وهناك مشابهات اخرى كثيرة بين هذه الديانة والديانة المسيحيَّة حتَّى يُستحيل القول بانها حدثت فيها اتفاقًا واذلك زعم الاسبانيون الذين دخلوا بلاد المكسيك اولاً بان هذا الرسول هو مار توما الذي يقال انه بشَّر في بلاد الهند او انه ابليس الرجيم ذهب الى بلاد المكسيك مغتاظًا من انتشار الديانة المسيحيَّة في اسيا واوربا وافريقية فوضع لاهاليها ديانة تشبه الديانة المسيحيَّة من بعض وجوهها ازدراء بها

وقد اختلفت اراء الباحثين في هذه المسألة على غير هدًى واستتمّ لاحدهم الآن ان حلها على الصورة الآتية وهي

انه يظهر من البحث في روايات اهل المكسيك وآثارهم ان هذا الرسول دخل بلادهم بين القرن السادس والتاسع للمسيح وانه جاءهم من جزيرة مقدَّسة في اوربا واقعة الى الشمال الشرقي منهم ومعلوم ان جزيرة ارلندا اشتهرت بارسال المبشرين الى الاقطار البعيدة في تلك المدة اي بين القرن السادس والتاسع للميلاد حتَّى وصل مبشروها الى جزيرة اسلندا في اقصى الشمال وانها كانت مسماة حينئذٍ بالارض المقدسة . فظن هذا العالم ان الرئيس المشار اليه ذهب من ارلندا نفسها . وجعل يبحث في السجلات القديمة لعلَّه يقف على شيء يؤيد ذلك فوجد ان واحدًا من خدمة الدين وهو المطران برندن ذهب الى بلاد شبر الاوقيانوس الاتلنتيكي في اواسط القرن السادس وعلَّم اهاليها شعائر الديانة وبقي عندهم سبع سنوات ثم رجع الى بلاده عازمًا ان يعود اليهم ثانية ولما حاول العودة اليهم صدَّته الرياح فعاد الى ارلندا وقضى نحبه فيها سنة ٥٧٨ وعمره اربع وتسعون سنة . ولذلك يرجَّح انه هو رسول المكسيك الذي حار المؤرخون في امره وهو يحل عقدة غامضة من عقد التاريخ